المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد: 04، العدد: 02 (2020)، ص59-76

تأثير العوامل السياسية والطبيعية في ضبط الأسعار بالمغرب الإسلامي من القرن 4-7هـ/10-13م

The influence of political and natural factors in controlling prices in the Islamic Maghreb from the 4th to 7th century AH / 10-13AD

كمال خلفات
جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة (الجزائر)
kamel.khelfat@gmail.com

معلومات المقال
تاريخ الارسال: 2020/11/24
تاريخ القبول: 2020/11/30
تاريخ النشر:2020/12/09
الكلمات المفتاحية:
✓الأسعار
✓التجارة
✓المغرب الإسلامي
✓السرقة
✓الفقهاء

الملخص:
تعتبر الأسعار من أهم النظم التجارية في العالم الإسلامي والمسيحي؛ لذا أعطتها الدولة الإسلامية مكانة هامة؛ لتأثيرها المباشر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كما أثارت نقاشا بين الفقهاء حول كيفية ضبطها داخل الأسواق الإسلامية، ومن هذا المنظور عرف المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط تضاربا في تحديد الأسعار داخل الأسواق، حسب قانون العرض والطلب، كما اختلفت الأسعار من دولة إلى أخرى تحكمت فيها مجموعة من العوامل السياسية والطبيعية بالدرجة الأولى، في حين تركت السلطة الحاكمة حرية ضبط الأسعار للتجار. بينما سخرت سلطة أخرى جهاز خاص بالرقابة المالية لتحديد الأسعار داخل الأسواق؛ عرف سابقا –بالحسبة– مما كان له الأثر في بعض الأحيان على التجارة والتجار. بسبب تجاوزات السلطة الحاكمة، مما فجر حرب تزعمتها القبائل المعارضة لهذه الإجراءات التي رأتها ظالمة في حقها. أردت في هذا المقال توضيح بعض العوامل التي أثرت على ضبط الأسعار داخل الأسواق؛ في ظل الدول المتعاقبة على المغرب الإسلامي من القرن (4هـ/10م) إلى (7هـ/ 13م)؛ ومحللا وناقدا للأوضاع السياسية والاقتصادية عبر مدة حكم السلطة الوسيطية والأسباب التي أدت إلى ارتفاع الأسعار وما انجر عليها على حياة المجتمع من ظهور بعض الآفات الاجتماعية (كالسرقة، والزنا، وقطع الطريق...) وغيرها من الأسباب التي أدت إلى انهيار الأسواق وقطع العلاقات التجارية التي كانت سائدة بين مدن المغرب الإسلامي، وانهيار وتفكك الوحدة السياسية والتجارية.

Article info
Received :24/11/2020
Accepted:30/11/2020
Publication:09/12/2020
Key words:
✓ the prices
✓ Trading Islamic
✓ Maghreb

Abstract :
Prices are among the most important trading systems in the Islamic and Christian world. Therefore, the Islamic State gave it an important place. Because of its direct impact on economic, social and political life, it also sparked a discussion among jurists about how to control it inside the Islamic markets, and from this perspective the Islamic Maghreb knew during the medieval era a conflict in determining prices within the markets, according to the law of supply and demand, as prices differed from one country to

www.manaraa.com

another that it controlled. A group of primarily political and natural factors, while the ruling authority left the freedom to control prices to merchants. While another authority used a financial control body to set prices within the markets; It was known previously - the Hisbah - which had an impact in some cases on trade and merchants. Because of the excesses of the ruling authority, which triggered a war led by the tribes opposing these measures, which they considered unjust against them. In this article, I wanted to clarify some of the factors that affected price control within the markets; In light of the successive states of the Islamic Maghreb from the 4th to 7th century AH / 10-13AD; He analyzed and criticized the political and economic conditions through the period of the mediating authority's rule, the reasons that led to the rise in prices and the impact on society's life in terms of the emergence of some social ills (such as theft, fornication, cutting off the road ...) and other reasons that led to the collapse of markets and the severance of commercial relations that It was prevalent among the cities of the Islamic Maghreb, and the collapse and disintegration of the political and commercial unity

✓ Stealing
✓ Jurists

. مقدمة:

عرف المغرب الإسلامي خلال القرون الثلاث الأولى حركة تجارية مزدهرة؛ ساهمت السلطة الحاكمة في إنعاشها وذلك بتنظيم التجارة وبناء الأسواق وتعبيد الطرقات وكذلك تنظيم القوافل التجارية بين المدن المغربية في ظل الأمن والسلام؛ كما ضبط المشرع الإسلامي المعاملات التجارية داخل الأسواق من ضبط للأسعار ونوعية السلعة ومحاربة الغش والتدليس والاحتكار عبر جهاز عرف سابقا بجهاز الحسبة.

لكن سرعان ما عرف المغرب الإسلامي خلال القرون المتأخرة عوامل طبيعية وأخرى سياسية أثرت على الحياة الاقتصادية والاجتماعية؛ كانت السلطة الحاكمة في بعض الأحيان المتسبب الرئيسي في ذلك؛ أردت من هذا المقال تتبع مراحل تطور الحياة التجارية خاصة الأسعار وكيف أثرت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الاسلامي من القرن (4هـ/10م) إلى (7هـ/ 13م). كل هذه المعطيات التاريخية تدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: **كيف أثرت التغيرات السياسية والطبيعية في الأسعار داخل أسواق المغرب الإسلامي؟ وكيف عالجت المصادر التاريخية تغير الأسعار بالمغرب الإسلامي؟**

2. نظرة المشرع حول ضبط الأسعار

يقول ابن خلدون: "**أن المكوس والمغارم والفرائض تسبب الغلاء في أسعار السلع**" [1] إذ يُعتبر السعر المظهر العملي الملموس للقيمة في النظام الاقتصادي القائم على السوق أو التبادل النقدي [2]، كما أنّه ليس ثابتا بل متقلبا يتأثر بعدة عوامل طبيعية وبشرية تتحكم في تحديده [3].

وقد أولى ابن خلدون ومن بعده ابن الأزرق اهتماما في تعليل ظاهرة الأسعار من حيث بين الغلاء والرخص، وقد توصلا إلى جملة من التعليلات كأهمية البضاعة في حد ذاتها من حيث النفع والجهد

www.manaraa.com

المبذول والزمن المستغرق في إنتاجها، والخضوع إلى قانون العرض والطلب، وإلى سياسة الدولة الاقتصادية من احتكار وتخزين السلع إلى جانب قضية هامة وهي المكوس المفروضة عليها [4].

وقبل الحديث عن الأسعار والظروف التي تحكمت فيها في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)، ننقل بعض ما جاء عن حكم التسعير على النّاس فيما يبيعونه من الوجهة النظرية، إذ ظفرت هذه المسألة باهتمام المشرعين المسلمين منذ القديم. كما توصل الفقهاء إلى حرمة تدخل الحاكم في تحديد سعر السلع لأنه مظنة الظلم، والناس أحرار في التصرفات المالية، والحجر عليهم مناف لهذه الحرية [5]، كما أن إلزام صاحب السلعة بالبيع بما لا يرضي به مناف لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [6].

وهذا لا يعني أن مسألة التعسير تركت بين التجار يبيعون بالسعر الّذي يحددونه، بل حسبما يفهم مما ورد في أقوال ومواقف الفقهاء المناوئين لفكرة التحكم والتدخل من قبل الحاكم في أمور التسعير، أنّه قد يكون من حق صاحب السوق أن يزجر التاجر السيئ النية إذا أراد أن يفسد السوق، بالحط من السعر المتداول بين النّاس.

وفي هذا الشأن نقل "**يحيى بن عمر**" قول الإمام مالك في التسعير أنّه سئل عن صاحب السوق يسعر فيقول: إما بعتم بكذا وكذا بأسعار يسميها لهم وإما خرجتم من السوق قال مالك: لا خير في هذا، فقيل له: وإنّ الرجل يأتي بطعام وليس بجيد وقد سعره بأرخص من الطيب فيقول صاحب السوق للغير إما بعتم مثله وإما خرجتم من السوق، فقال مالك ولا خير في ذلك، ولو أن رجلا أراد بذلك فسادا في السوق فحط من السعر أرأيت أن يقال له: إما أن تلحق بالناس وإما أن تخرج من السوق فأما أن يقال للناس كلهم إما أن تبيعوا بكذا، وإما أن تخرجوا فليس بصواب[7].

في حين هناك من يرى جواز التسعير إذا دعت مصلحة الجماعة كما ذهبت الشيعة، كما نهوا عنه في بعض الأحيان، حيث نقل "**القاضي النعمان**" قول الإمام جعفر بن محمد الصادق في قوله: ما سعر أمير المؤمنين على أحد، ولكن مَنْ نَقَصَ عن بيع النّاس قيل له: بع كما يبيع النّاسُ وإلّا فارفع من السّوق إلّا أن يكون طعامُهُ أطيب من طعام الناس [8]. تبقى هذه الأحكام متعلقة بالظرفية التاريخية، لأنه في الواقع قد تتغير الأسعار حسب الظروف السياسية كالحروب وتمرد بعض الجماعات، وحتى الطبيعية كالجوائح مثل الحرائق والفيضانات والجراد وغيرها التي تؤثر على طبيعة الإنتاج، لذا وجب على السلطان التدخل في بعض الأحيان لضبط الأسواق بما يليق ومتطلبات الرعية وما تمليه كذلك الظروف السياسية والطبيعية. وكذا الحد من جشع واحتكار التجار. أما في الواقع التاريخي فإنه لم تفرض الأنظمة المتعاقبة على حكم بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ضوابط لتسعير السلع والبضائع

www.manaraa.com

المتداولة في الأسواق، ولم تعط المصادر المتوفرة معلومات بخصوص ذلك، مما قد يرجح عدم القيام بها. غير أن هناك إشارة من البكري تشير إلى أن أهل سرت لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر قد اتفق جميعهم عليه [9].

الجدير بالملاحظة، أن المعلومات عن الأسعار نادرة مما تعذر معرفة تطورها، غير أنه أمكن جمع مادة أساسية من المصادر الجغرافية بالدرجة الأولى وبعض الشذرات المتفرقة في كتب التاريخ العام وسير والتراجم والطبقات، وقد يرجع سبب هذه الندرة إلا أن المؤرخين والرحالة كثيرا ما كانوا يسجلون ما يشد انتباههم وأنظارهم كالرخص والغلاء مستخدمين عبارات إنشائية دون الاهتمام بإعطاء قوائم تتضمن جرد للأسعار، عذرهم في ذلك طبيعة التدوين التاريخي في ذلك الزمن.

3. الأسعار بالمغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)

من المشاكل التي تعترض القيام بمعالجة هذا الجانب، ضيق محتوى الجزئيات المتوفرة، وغياب إشارات خاصة بالأسعار في الأحوال العادية، مقابل التركيز على فترات الغلاء، مع إشارات محدودة تتعلق بفترات الرخاء، ورغم ذلك يبدو أن جمع وتركيب معلومات هذا الرصيد رغم قلتها في الجدول التالي:

جدول رقم (1): يوضح فترات الرخاء الذي عرفه المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الرخاء	مواد محددة	القيمة	المصادر
الدولة العبيدية	القيروان	رخص عجيب	خمسة أمناء من اللحم عشرة أمناء من التين	بدرهم بدرهم	المقدسي: المصدر السابق، ص211.
الدولة العبيدية	القيروان	رخص عجيب	الزبيب، التمر، الأعناب، الزيت		نفسه، ص211.
	الغدير	رخيصة	الطعام، اللحم، جميع الثمار		البكري: المصدر السابق، ص724.
	الغدير	رخيصة	قنطار عنب	بدرهم	نفسه، ص724.
396هـ/100 5م	إفريقية	رخصت الأسعار			ابن عذاري، البيان، ج1، ص 280.
ق 5هـ/11م	باجة	لينة الأسعار			ابن حوقل: المصدر السابق، ص76؛ البكري: المصدر السابق، ص719.
ق 5هـ/11م	باجة	لينة الأسعار	وقر البعير من الحنطة	درهمين	نفسه، ص719.
ق4هـ/10م	المغرب	غاية الرخص	الأطعمة، الأغذية والأشربة، اللحم، الدهن		ابن حوقل، المصدر السابق، ص95.
ق 4هـ/10م	القيروان		جمل	10دنانير	الدباغ، معالم، ج3، ص47.
ق 4هـ/10م	توزر		جمل	عشرون دينارا	الدرجيني: طبقات، ج1، ص153.
القرن4هـ/10م	برقة	فائضة بالرخص	جميع الأغذية		ابن حوقل: المصدر السابق، ص69.

www.manaraa.com

القرن4هـ/10م	ودان	رخص الأسعار	التمور		نفسه، ص70.
القرن4هـ/10م	سرت	أسعار صالحة	العنب والفواكه		نفسه، ص70.
القرن4هـ/10م	بونة	رخص الأسعار	الفواكه		نفسه، ص77.
القرن4هـ/10م	مرسى الدجاج	رخص الأسعار	الفواكه، والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي		نفسه، ص77.
القرن4هـ/10م	طنجة	صالحة الأسعار			نفسه، ص77.
القرن4هـ/10م	سبيبة	رخيصة الأسعار	الفواكه		نفسه، ص84.
القرن4هـ/10م	مسكيانة	رخيصة الأسعار	الحوت		نفسه، ص84.
القرن4هـ/10م	بلزمة	رخص الأسعار			نفسه، ص92.
3 80هـ/990م	المغرب	رخص مفرط	الزرع		ابن أبي زرع: الأنيس، ص102.
القرن5هـ/11م	إيجلي		قنطار سكر	بمثقالين وأقل	البكري: المصدر السابق، ص854.
القرن5هـ/11م	إيجلي		الجارية	ألف دينار أو أكثر	نفسه، ص854.
324هـ/935	ورزيغة		ألف حبة أجاص	ربع درهم	نفسه، ص845.
القرن4هـ/10م	سطفورة	رخص	الحوت		ابن حوقل: المصدر السابق، ص76.
أواخر 381هـ/991	المغرب وافريقية	حطت الأسعار			ابن أبي زرع: الأنيس، ص115.
	سوسة	رخيصة الأسعار	لحوم		البكري: المصدر السابق، ص689.

جدول رقم (2): يوضح فترات الغلاء الذي عرفه المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الغلاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
القرن4هـ/10م	قسطيلية	غلاء	الطعام		ابن حوقل، المصدر السابق، ص92 [10].
ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد(333-336هـ/	سفاقس		زيت الزيتون	بين 60 قفيز بدينار إلى 100 قفيز بدينار	نفسه، ص 73.
395هـ/1004م	افريقية	غَلَت الأسعار			ابن عذاري، البيان، ج1، ص 280.
395هـ/1005م	بإفريقية	غلت الأسعار	الرمانة الفرُّوج	بدرهمين ثلاثين درهما	ابن عذاري، البيان، ج1، ص 280.
317هـ/929م	القيروان	غلاء عظيم			ابن عذاري، البيان، ج1، ص 205 [11].
395هـ/1005م	القيروان		ثورين	41 مثقال ذهب	الدباغ، المعالم، ج3، ص 152.

www.manaraa.com

ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد(333-336هـ/	القيروان		الحديد	ما بين 10 إلى 14 دينار للقنطار	الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 29.
القرن4هـ/10م	سجلماسة		الثوب الصوفي	20 مثقالا	البكري، المصدر السابق، ص835.
303هـ/915م	افريقية	مجاعة عظيمة	مد القمح	ثلاثة دنانير	ابن أبي زرع: الأنيس، ص98.
339هـ/950م	المغرب	غلاء عام			نفسه، ص100.
307هـ	افريقية	الغلاء العظيم			ابن عذاري، البيان، ج1، ص 200.

1.3.الضوابط التي تحكمت في الأسعار

لا شك أن قانون العرض والطلب، كان القاعدة التي تحكمت في حركة الأسعار خلال هذه الفترة، وهذه القاعدة كانت مرتبطة عضويا بمستوى حجم الانتاج الذي يروج في أسواق المدينة، ومدى تغطيته للحاجيات المرغوب فيها، وحجم الانتاج له علاقة بالتموين، وهذا الأخير كانت تتدخل فيه المتغيرات السياسية والبيئية، كما كانت نفس القاعدة تتأثر بسلوكات المتعاملين، تجارا ومستهلكين في أثناء فترات الرخاء والغلاء معا، انطلاقا من هذه الملاحظات يبدو أن الأسعار بالمغرب الإسلامي خلال هذه الفترة عرفت تموجات وتقلبات، كانت من ورائها مجموعة من الضوابط، يمكن اختصارها في ثلاثة هي:

2.3. الضوابط السياسية

وتتلخص في طبيعة الوضعية التي تكون فيها السلطة، إما قوية أو ضعيفة الحالة الأولى، يكون الاستقرار السياسي الذي يضمن الأمن، ويعطي دفعة كبيرة للإنتاج والرواج، وفي الرواج اتساع قاعدة العرض والاستهلاك، وهذا مؤشر على حالة عادية، قد تتطور إلى حالة رخاء، والرواج النشيط لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت الأسعار محفزة على الاستهلاك، ما دام العرض وفيرا، ويبدوا أن هذه الحالة هي التي ميزت القرن (4هـ/10م)، لكن تخللتها بعض السنوات أخلت بالأمن والاستقرار السياسي؛ من أجل اشباع النهم المادي للسلطة للسيطرة على طريق الذهب والرقيق، وأخرى جمع أكبر كم ممكن من الأموال على حساب الرعية مما فجر حرب أذهبت الأمن والاستقرار.

إن إشارات المقدسي وابن حوقل حول الرخاء المفرط ورخص الأسعار يكاد ينحصر في إفريقية فحسب لأنها تعتبر حاضرة الدولة العبيدية، لكن باقي مدن المغرب الإسلامي (المغرب الأوسط، والأقصى) فقد شهدت غلاء عظيما وارتفاعا للأسعار.

وعلى الرغم من عدم توفر معلومات دقيقة عن أسعار هذه الحالة في هذه الحقبة بالذات، فيمكن أن نستشف بعض مؤشراتها من خلال عدة ملاحظات منها كثرة التجارة [12]، والجمع بين السعر الرخيص والجودة في بعض المنتوجات [13].

www.manaraa.com

أما في أوقات الأزمات التي تميزت في الغالب بعد الاستقرار، فتنتعش فيما يبدو الشروط المشجعة على ارتفاع الأسعار والغلاء، وفي هذا السياق يمكن تصنيف الأزمات التي تعرضت لها السلطة العبيدية التي ساهمت بقوة في إحداث الغلاء في الحروب التي خاضتها ضد الجماعات المعارضة لها، وتمثلت أخطرها وهي حرب يزيد بن مخلد بن كيداد [14] 336-332هـ/943-947م، هذا بالإضافة إلى الحروب التي خاضتها ضد القبائل الزناتية بالمغربين الأوسط والأقصى من أجل السيطرة على تجارة الذهب والرقيق [15] والتي سنعالجها لاحقا.

كما كان للحصار الذي تعرضت له المهدية حاضرة العبيديين في أواخر شوال سنة (333هـ/945م) وجرى قتال عظيم بين الفريقين، أخرج الناس شدة الجوع والغلاء الحاصل في المدينة منها الأمر الذي دفع القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م) لفتح الأهراء التي عملها أبوه المهدي، وفرق ما فيها على رجاله، فيما اضطرت العامة إلى أكل الدواب الميتة، وغادر المهدية أكثر سكانها وتجارها وسوقتها [16]، فكانت جماعات أبو يزيد بن مخلد يترصدون كل من يخرج منها يشقون بطونهم أحيانا ليفتشوا على المال توهما أنهم ابتلعوه [17].

ويحسن التنبيه إلى أن هذه الحروب التي خاضتها الدولة العبيدية ضد الجماعات المعارضة نتيجة سياستها المالية والعقدية أرهقت الرعية، فكان القيام بعمل مسلح ضد هذه السياسية الملجأ الأخير والخلاص المر بالنسبة لهاته الجماعات.

3.3. الأحوال المناخية

كان العامل الحاسم فيها بالنسبة لموضوعنا هو وفرة الماء أو ندرته، وأحيانا يدخل في الحسبان انتشار الجراد، ويبدو أن تموجات الأسعار كانت لها علاقة عضوية بالتذبذبات المطرية المنتجة لحالات الوفرة والندرة، التي مر بها المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م).

4.3. حالة الوفرة

على الرغم من عدم وجود جزئيات مرجعية تسمح بالتعرف على الحالات الخاصة بهذا النوع، فمن الجائز على الأقل اعتبار أوقات الرخاء، والفترات التي لم تذكر ضمن الرخاء أو الغلاء الناتج عن مشكل الماء، مكونا من مكوناتها، ويبدو أن حضورها كان بارزا أكثر في القرن (4هـ/10م). ومن السنوات التي شهد فيها المغرب الرخاء سنة (380هـ/990م) كان الخلف والرخاء المفرط بالمغرب، فكان الزرع لا يجد من يشتريه لكثرته، وكان الحراثون يتركونه في فدادينهم ولا يحصدونه لرخصه [18].

www.manaraa.com

كما شهدت بعض المدن في المغرب الرخاء كمدينة باجة فهي كبيرة كثيرة الأنهار، وهي كثيرة الأمطار والأنداء، قلما يصحى هواؤها، وبها يضرب المثل في كثرة المطر، وحولها بساتين عظيمة تطرد فيها المياه، وبها حمص وفول قلما يرى مثله، وتسمى هُري افريقية لريع زرعها، وإنها خصيبة لينة الأسعار [19].

أما مدينة مرسى الدجاج فهي على نحر البحر، بها من رخص الأسعار في الفواكه والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يُغرق غيرهم ممن يجاورهم، وبها من الأشجار والثمر والتين خاصة العظيم الجسيم ما يُحمل منه إلى البلاد النائية عنه [20].

5.3. حالة الندرة

عرف المغرب الإسلامي تعاقب سنوات من الجفاف والقحط والمجاعة والأوبئة والطاعون، أشرنا إليه سابقا في أثر الجوائح الطبيعية على الزراعة.

أما الاحتكار فهو مشكل كان يظهر بشكل خاص في أوقات الأزمات، قد يكون بهدف الزيادة في هامش الربح، أو كإجراء وقائي لمواجهة أحوال الشدة.

فاحتكرت الدولة العبيدية الجيد من الإنتاج الّذي كانت تمتاز به بعض المدن المغربية والذي كان يحمل إلى الخليفة عبيد الله المهدي مهما بعدت مسافته [21]، فالماء كان يحمل إليه يوميا من عين جقار بالقرب من قرطاجنة [22]، والملح من مدينة بسكرة [23] كما كان يحظر بيع كل ما هو جيد ليحمل إليه مثل تمر يعرف بالكمبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف باللياري أبيض أملس.

وكان عبيد الله يأمر عماله بالمنع من بيعه والحظر عليه وبعث ما هنالك منه إليه من مدينة بسكرة [24]، فكان يأمر عماله بحظره ومنعه من التداول بين التجار، كذلك منع تداول نوع من النسيج يعرف بأبي قلمون–بوقلمون–، بالرغم من غزارة وجوده، وكانت ثيابه تظهر للرائي في ألوان متقلبة، وبلغ ثمن الثوب الواحد منه عشرة آلاف دينار، ويعتقد أن حظر بيعه يعود لغلاء ثمنه، لهذا أراد الخلفاء أن يحتكروه لأنفسهم فكان لا يخرج منه إلا القليل خفية [25].

4. الأسعار في المغرب الإسلامي خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م)

أما في القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م) فقد عرفت الدولة الزيرية تطورا سريعا للأحداث، وشهدت تذبذبات في الأسعار، سجلنا هذه الملاحظات في الجدول التالي:

جدول رقم (3): يوضح فترات الغلاء الذي عرفتها الدولة الزيرية خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الغلاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
405هـ/1014م	المنصورية		كراء حانوت لبيع الكتان	مئتا درهم	ابن عذاري: البيان، ج1، ص285.
409هـ/1018م	إفريقية	غلاء كثير			نفسه، ص293.

www.manaraa.com

425ه/1033م	إفريقية	مجاعة شديدة			انفسه، ص300.
441ه/1049م	إفريقية	غلاء الأسعار [26]			نفسه، ص305.
443ه/1051م	إفريقية	الفتنة العظيمة [27]			نفسه، ص315-320.
447ه/1055م	إفريقية	مجاعة عظيمة			نفسه، ص321.
469ه/1076م	إفريقية	مجاعة عظيمة			نفسه، ص329.
483ه/1090م	إفريقية	غلت الأسعار			نفسه، ص331.
491ه/1097م	إفريقية	مجاعة عظيمة			نفسه، ص332.
543ه/1148م	إفريقية	مجاعة عظيمة[28]			نفسه، ص347.

من الملاحظات التي نستطيع أن نسجلها من خلال هذا الجدول، أن الدولة الزيرية خلال القرن (5ه/11م) عرفت انهيار الأسعار بصفة كبيرة، نتيجة السياسية التي انتهجتها السلطة، ضد الجماعات المعارضة أو القطيعة التي أحدثها السلطان المعز بن باديس مع السلطة العبيدية بالقاهرة؛ فقد كلفته هذه الأخيرة خسائر فادحة في جميع المجالات خاصة منها الاقتصادية، فتمثل ذلك في دخول العرب الهلالية إلى افريقية وما نتج عنه من حروب وحصار ومجاعات وظهور الأوبئة [29].

وفي هذا الصدد يذكر ابن عذاري أنه في سنة (409ه/1018م) جرت حروب كثيرة خاضتها الدولة الزيرية ضد خصومها كان من نتائجها غلاء كثير بإفريقية [30].

أما المجاعات الشديدة خلال السنوات (425ه/1033م)، و(469ه/1076م) (483ه/1090م)، و(491ه/1097م)، فتسببت هذه المجاعات في غلاء الأسعار وهلاك الكثير من النّاس [31]. أما في سنة (444ه/1052م) فكان الجوعُ الشديد الذي يُعرف "**بسنة أوقية بدَّرْهم**" من الدراهم الخندوسيَّة[32] .

كما سبب الحصار الّذي قامت به العرب الهلالية بإفريقية إلى غلاء الأسعار، ففي (446ه/1054م) حاصرت العرب مدينة القيروان وضيقت عليها تضييقا شديدا [33] كما قامت العرب الهلالية سنة (449ه/1057م) بانتهاب مدينة القيروان وخرابها [34] كما سُبيت وأخليت سنة (452ه/1060م) [35].

كما كان للظواهر الطبيعية نصيب من زيادة الأسعار وغلاء المعيشة ففي سنة (411ه/1020م) جاءت سحابة شديدة الرعد، فأمطرت حجرا لم ير أهل إفريقية مثله كبرا وكثرة [36]، وفي سنة (504ه/1110م) كان بالمغرب زلازل عظيمة، دامت شهر شوال كله [37].

أما عن فترات الرخاء فلم تعرف الدولة الزيرية كثيرا منها وفي هذا **الجدول رقم (4): توضيح سنوات الرخاء الذي تمتعت به الدولة الزيرية خلال القرنين (5ه/11م) و(6ه/12م)**، رغم قلتها فقد طغى **الغلاء** على **الرخاء**:

التاريخ	المدينة	طبيعة الرخاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
422ه/1030م	إفريقية	الرخاء			ابن عذاري: البيان، ج1، ص300.
430ه/1038م	إفريقية	كثر الخصب			نفسه، ج1، ص301.

www.manaraa.com

484هـ/1091م	إفريقية	الخصب والرخاء			نفسه، ج1، ص331.

1.4.الأسعار بالدولة الحمادية

يحسن التنبيه إلى أن الضوابط المتحكمة في الأسعار في القرن (4هـ/10م) التي أشرنا إليها سابقا هي نفسها التي تحكمت في الأسعار في الدولة الحمادية بالقلعة ثم ببجاية، خاصة في فترة الرخاء، كما ارتبطت وفرة الانتاج بالرخاء، وهو عين ما ذكره ابن خلدون: "**فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الكمالي من الأدم والفواكه وما يتبعها، وإذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الأمر بالعكس، والسبب في ذلك أن الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها، إذ كل واحد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله**"(38).

جدول رقم (5): يوضح فترات الرخاء الذي عرفته الدولة الحمادية خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الرخاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
ق 5هـ/12م	المسيلة	رخيصة السعر	القطن، اللحم		البكري: المصدر السابق، ص723.
	بجاية		زق الماء	أربعة دراهم	الغبريني: عنوان الدراية، ص149.
	تلمسان	رخيصة الأسعار			مجهول: الاستبصار، ص176.
	بجاية	رخيصة	فواكه، لحوم		الادريسي: المصدر السابق، ص118.
	قلعة بني حماد	الثمن اليسير	الفواكه والنعم		نفسه، ص117.
	قلعة بني حماد		عمائم شرب مذهبة	500دينار إلى 600 دينار وأزيد	مجهول: الاستبصار، ص129.
	قلعة بني حماد			دينارين وأزيد	نفسه، ص129.
	سطيف	رخيصة الأسعار			البكري: المصدر السابق، ص 745. مجهول: الاستبصار، ص166.
	ميلة	رخيصة الأسعار			نفسه، ص166.
	تنس	رخيصة الأسعار			نفسه، ص133.
	مرسى الدجاج	الثمن اليسير	الحنطة، سائر الفواكه، اللحوم		الادريسي: المصدر السابق، ص115.
	مليانة	أسعار رخيصة			مجهول: الاستبصار، ص171.
	ندرومة	رخصية الأسعار			نفسه، ص135.
	بجاية	رخيصة الأسعار	خرقة صوف	ثلاثين درهما	الغبريني: المصدر السابق، ص174.
	بجاية		قفيز من القمح	خمسين درهما	القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص114.
	بجاية		رطل من اللحم	لا يتجاوز درهم	نفسه، ج5، ص114.
	بجاية		الدجاجة الجيدة	درهمين لا أكثر	نفسه، ج5، ص114.
	بجاية		الخبزة الواحدة	بربع درهم	الدباغ، معالم، ج2، ص242.
	تدلس	رخص الأسعار	الفواكه، المطاعم، الغنم والبقر		الادريسي: المصدر السابق، ص115.

ومن خلال هذا الجدول نستشف أنّ لحالة الوفرة الأثر القوي داخل الدولة الحمادية خلال مرحلة القلعة وبجاية حيث ساد الرخاء في الأسعار شفيعنا في ذلك شهادة أصحاب كتب الرحلة والجغرافيا والتاريخ والطبقات،

www.manaraa.com

حيث ذكر الادريسي: "**وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلّت كَفَتْ، فأهلها أبدا الدهر شباع وأحوالهم صالحة**[39]؛ **وأحيانا أخرى يربط البركة بالأسعار، فيذكر الادريسي وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة، تباع بالثمن اليسير، كما عمت هذه البركة كذلك مدينة الغدير والبركات في معاملاتهم كثيرة**"[40] كما عمت هذه الحالة سائر بلاد المغرب فيذكر الادريسي أن الحنطة والشعير بها موجودان كثيرا، والتين وكثير من سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد، كما يعبر في موضع آخر عن الرخاء المفرط حيث يصف تجارتهم "**وتباع البضائع بالأموال المقنطرة**"، كما عرفت مدينة قسنطينة كذلك حالة الوفرة في الانتاج فيذكر الادريسي "**أن الحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد**" فهذا يدل على السعة والكثرة[41] كما وصف صاحب الاستبصار فحص زيدور بمدينة أرشقول لبركته في محصول القمح[42].

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد ذكر حول الأسعار في دراسات الباحثين [43] الذين اهتموا لدراسة الحياة الاقتصادية في دولة الحمادية في العصر الوسيط؛ وذلك لغياب النّصوص الشاهدة.

إلا أن ذلك لا يمنع من وجود فترات للغلاء في الدولة الحمادية فهذا الجدول **رقم (6): يوضح فترات الغلاء الذي عرفته الدولة الحمادية خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م):**

التاريخ	المدينة	طبيعة الغلاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
407هـ/1016م	المغرب الاسلامي	القحط			ابن أبي زرع: الأنيس، ص118.

ويحسن التنبيه إلى أنّه لم يسجل حالات غلاء الأسعار في الدولة الحمادية في مرحلة القلعة ثمّ بجاية، ربما يعود ذلك إلى للرخاء الّذي تمتعت به الدولة الحمادية؛ حيث تفوق الرخاء على الغلاء بنسبة 90%كما دلت شذرات المعلومات حول قلعة بني حماد والتي كان أهلها أبدا الدهر شباع وأحوالهم صالحة وأن الحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد"[44].

لذلك عاش ملوك بني حماد أمن وسلام مع العرب الهلالية، خاصة بعد موقعة سبيبة (457هـ/1064م) [45]، وهذا ما ذكره الادريسي الإدريسي حول مدينة قسنطين التي كان أحوالها واسعة وفيها معاملات للعرب، وتشارك في الحرث والادخار [46] "**وجميع الحصون مع العرب في مهادنة**" [47]. كما استطعنا تسجيل فترات الغلاء في الحالات العامة التي تصيب المغرب الإسلامي كافة.

إلا أن ذلك لا يمنع من وجود فترات للغلاء خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م)؛ مما يعني أن حالة الرخاء كان يتخللها فترات للغلاء كما توضح هذه الجداول:

جدول رقم (7): يوضح فترات الغلاء الذي عرفه المغرب الأقصى قبل قيام الدولة المرابطية خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الغلاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
453-457هـ/1060-1064م	فاس	غلت الأسعار [48]			ابن أبي زرع: الأنيس، ص111.
457-460هـ/1064-1067م	فاس	غلاء مفرط			نفسه، ص113.

www.manaraa.com

453–460هـ/1060–1067م	فاس	غلاء مفرط	أوقية دقيق	درهم	نفسه، ص114.

جدول رقم (8): يوضح فترات الرخاء الذي عرفته الدولة المرابطية خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الرخاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
440–452هـ/1048–1062م	فاس	رخاء كثير			ابن أبي زرع: الأنيس ص111.
462هـ/1069م	فاس	رخاء			نفسه، ص113.
462–515هـ/1069–1121م[49]	المغرب الأقصى	رخاء متصل	أربعة أوسق من القمح	نصف مثقال	نفسه، ص167.
462–515هـ/1069–1121م	المغرب الأقصى	رخاء متصل	ثمانية أوسق من الثمار	نصف مثقال	نفسه، ص167.
462–515هـ/1069–1121م	المغرب الأقصى	رخاء متصل	القطاني	لا تباع ولا تشترى	نفسه، ص167.

جدول رقم (9): يوضح فترات الغلاء الذي عرفته الدولة المرابطية خلال القرنين (5هـ/11م) و(6هـ/12م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الغلاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
512هـ/1118م	تلمسان	غلاء عظيم	رُبع الدقيق	عشرون درهما	ابن عذاري: البيان، ج1، ص340.
521هـ/1127م	المغرب الأقصى	غلت الأسعار[50]			ابن الخطيب: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، ص89.
534–540هـ/1139–1145م	المغرب الأقصى	غلت الأسعار	ربع من الدقيق	مثقال حشميّ ذهبي	ابن عذاري: البيان، ج3، ص93.
536هـ/1141م	فاس	غلاء الأسعار	سطل من الشعير	ثلاثة دنانير	البيذق: المصدر السابق، ص53. ابن عذاري: البيان، ج3، ص83.
536هـ/1141م	المغرب الأقصى	غلاء الأسعار	رطل الحطب	دينار	البيذق: المصدر السابق، ص53.

مما نستنتجه من خلال هذا الجدول أن الدولة المرابطية لم تعرف فترات الغلاء إلا في آخر أيامها، نتيجة الحروب والحصار التي شنتها عليها الدولة الموحدية، خاصة سنة (541هـ/1146م) فقد طال الحصار على مراكش واشتد الجهد بسكان مراكش وعلى كثرة خيلهم ورجلهم نفذ طعامهم وفنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين ألف، ولما طال عليهم الحصار واشتدت أحوالهم وهلكوا جوعا حتى أكلوا الجيف وأكل أهل السجن بعضهم بعضا وعدمت الحيوانات كلها والحنطة بأسرها، ففتحت مراكش أبوابها، فكان هذا الملجأ الأخير والخلاص المرُ[51]؛ فقد دام الحصار أكثر من تسعة أشهر وثمانية عشر يوما [52].

جدول رقم (10): يوضح فترات الرخاء بالمغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي: القرنين (6هـ/12م) و(7هـ/13م)

التاريخ	المدينة	طبيعة الرخاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
543هـ/1149م	مراكش	رخص الفواكه	زيتونه وفواكه	30,000 دينار مؤمنة	ابن الخطيب: الحلل، ص110.
580–595هـ/1184–1198م	المغرب	أمن ورخاء			ابن أبي زرع: الأنيس، ص 206، 217–218.[53]
635هـ/1238م[54]	مراكش	سنة خير وخصب	3أمداد حفصية من القمح	درهم واحد	ابن عذاري: البيان، ج3، ص478.
638هـ/1250م	المغرب	رخصت الأسعار			نفسه، ج3، ص489.

www.manaraa.com

ق7هـ/13م	الدولة الحفصية		كل قفيز من القمح	خمسين درهما	العمري: المصدر السابق، سفر4، ص140.
ق7هـ/13م	الدولة المرينية		وسق من القمح والشعير دون ذلك.	بأربعين درهما من الصغار	نفسه، سفر4، ص193-194.
ق7هـ/13م	الدولة المرينية		رطل لحم	بدرهم واحد من الصغار	نفسه، سفر4، ص193-194.
ق7هـ/13م	الدولة المرينية		طائر من الدجاج	بثلاثة دراهم من الصغار	نفسه، سفر4، ص193-194.
			حمل حمار من قصب السكر	ثلاثة دراهم	نفسه، سفر4، ص195.

جدول رقم (11): يوضح فترات الغلاء بالمغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي: القرنين (6هـ/12م) و(7هـ/13م):

التاريخ	المدينة	طبيعة الغلاء	مواد محددة	القيمة	المصدر
571هـ/1176م	المغرب	غلا ء عظيم			ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص267.
578هـ/1183م	مراكش	غلاء الأسعار			ابن عذاري: البيان، ج3، ص254.
582هـ/1186م[55]	بجاية	غلاء الأسعار			نفسه، ج3، ص282.
599-600هـ/1202-1203م	افريقية	غلاء الأسعار	رطل الزيت	نصف دينار	محمد حسن:المدينة والبادية، ج1 ص614.
602هـ/1205م	تونس	غلاء الأسعار	عشرة أمداد من الشعير	50 دينارا	ابن أبي أصبعيه، عيون الاطباء، ج3، ص127.
607هـ/1210م	المغرب الأقصى	المجاعة			ابن عذاري: البيان، ج3، ص373.
610هـ/1213م	بجاية	مجاعة			الغبريني، المصدر السابق، ص77.
614-616هـ/1217-1219م	المغرب الأقصى	غلاء الأسعار			ابن عذاري: البيان، ج3، ص381-382.
617هـ/1220م[56]	المغرب	غلاء الأسعار			نفسه، ج3، ص382.
620هـ/1224م	المغرب الأقصى	غلاء شديد			ابن عبد الملك: الذيل، 175/1.
624هـ/1227م	المغرب	غلاء شديد	قفيز قمح	15 دينار	ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص274.
632-635هـ/1234-1237م[57] (حكم الرشيد)	مراكش	الغلاء المفرط	مُدُّ الواحد الفَحْصي من القمح	سبعة دراهم	ابن عذاري: البيان، ج3، ص452.
632هـ/1234م[58]	مراكش	ارتفاع الأسعار	الربُّع الواحد من الدقيق اللطيف (الفاسد)	ثلاثة دنانير	ابن عذاري: البيان، ج3، ص444.
634هـ/1236م	مراكش	الغلاء المُفرط	الربُّع الواحد من الدقيق	37 درهما	نفسه، ج3، ص467.
637هـ/1239م	سبتة	غلاء الأسعار			نفسه، ج3، ص483-484[59].

www.manaraa.com

ما نلاحظه على هذا الجدول تفوق الغلاء 95% على الرخاء نتيجة عوامل سياسية وأخرى طبيعية؛ خاصة في نهاية القرن (6هـ/12م) وكل القرن (7هـ/13م) عالجتها المصادر التي أرخت لهذه الفترة في شرح يطول حاولت قدر الإمكان الإشارة إليها ضمن الهوامش.

5. خاتمة:

ومن خلال تتبع مسارات البحث توصلت إلى أهم النتائج مفادها:

– أن ضبط الأسعار تعلق بالظرفية التاريخية التي تمر بها السلطة في المغرب الإسلامي وعن حالة الوفرة والندرة داخل الأسواق وخارجها.

– كما تأثرت زيادة الأسعار مباشرة بالحروب بين السلطة والجماعات المعارضة لها.

– إن ارتفاع الأسعار يؤدي إلى حتمية اجتماعية (ظهور الآفات: كالزنا، السرقة، الغش، والتدليس، والاحتكار).

– تعامل السلطة الحاكمة مع التجار عبر القرون الثلاث كان متميزا عن القرون الأخير من عمر تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط.

– عكست العوامل الطبيعية والبشرية مباشرة على ضبط الأسعار بالمغرب الإسلامي؛ من خلال ما عالجناه سابقا من ظهور الأوبئة والمجاعات، وانهيار العملة.

– عمل الرقابة المالية والمتمثلة في جهاز الحسبة أثبت فعاليته داخل الأسواق من مراقبة: الأسعار والموازيين والمكاييل، ونوع الإنتاج.

– رغم الاختلاف التي وقعت فيه المصادر الإخبارية والجغرافية في إعطاء لنا أرقام حول التسعيرة داخل الأسواق بالدقة؛ والاكتفاء بعموميات الأسعار أي (غلاء شديد/ رخاء مفرط).

– لا تتسع هذه الأوراق لشرح مطول ورسم دوائر نسبية تحلل قدر الإمكان الجداول التي أعددناها.

الهوامش:

(1) ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد: **مقدمة**، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010م، ص303.

(2) جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين /9-10م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص157.

(3) فاطمة بهلواري: **النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/10م**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران-السانيا، الجزائر، 2005، ص236.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ص302، 303، 331؛ نجاة باشا: **التجارة في المغرب الإسلامي**، منشورات الجامعة التونسية، 1976، ص23، 27.

www.manaraa.com

(5) أبي زيد محمد القيرواني: **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تحقيق: محمد الأمين بوخبزة، ط1؛ ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص449-451؛ الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه: مجموعة من الفقهاء، ج5، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ/1981م، ج5، ص84، ج6، ص 408، 409؛ ليفني بروفنسال: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحِسْبة والمحتسب**، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م، ص 88-89.

(6) القرآن الكريم: **سورة النساء**، الآية 29.

(7) أحكام السوق، ص 103-104. ضمن كتاب المعيار المعرب للونشريسي، ج6، ص106 وما بعدها.

(8) أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور: **دعائم الإسلام**، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، ج1، دار المعارف، الاسكندرية، 2003، ج2، ص36؛ كتاب **الاقتصار**، تحقيق: محمد وحيد ميرزا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية-دمشق، 1376هـ/1957م، ص84.

(9) أبو عبيد البكري: **المسالك والممالك**، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جزءان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص651.

(10) يرجع ابن حوقل سبب غلاء الطعام إلى أنّه يجلب إليها ولا يزرع بها من الشعير ولا القمح إلا زرع تافه. ابن حوقل أبو القاسم محمد: **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.

(11) ورد في الجزء الأول من كتاب **البيان**، تحقيق: جورج كولان وليفني بروفنصال: أن في سنة (317هـ/929م) كان بالقيروان وأعمالها وباء عظيم، وغلاء سعر، [فبلغ قفيز قمح بالكيل القرطبي مثقال ذهب] النص الّذي بين المعكوفتين غير موجود في النّص المحقق التي اعتمدنا عليها في دراستنا، وكذلك النص في سنة (318هـ/930م) رخصت الأسعار، بعد ضيق شديد كان فيه الناس، وغلاء ووباء. عكس ما هو موجود في التحقيق الثاني المعتمد في الدراسة. فيعتبر النّص الثاني دخيل على سنة (318هـ/930م). رغم أن هذا النّص أخذ عليه الكثير من الباحثين مثل: جودت عبد الكريم، وبلهواري فاطمة الزهراء، وغيرهم.

(12) ابن حوقل: المصدر السابق، ص73.

(13) المصدر نفسه، ص70.

(14) يصف ابن حوقل مدينة تهيرت بأنها تغيرت عما كانت عليه وأهلها وجميع من قاربها من البربر -في وقتنا- هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت. ويضيف الدرجيني أن الخسائر التي ألحقتها حرب أبو يزيد أنه خربت على يديه أكثر من ثلاثين ألف قرية وفعل في إفريقية من الفسوق والفجور والعصيان وأنواع الفساد ما لم تفعله الفراعنة ولا أحد من ملوك أهل الكفر، كما أقام بقابس مدة وهو يدمر ويخرب. رغم ما تنطوي عليه هذه الرّواية من مبالغة ومعادية. غير ما نستنتجه أن البادية أو القرية هي التي كانت تميز الحاضرة أو المدينة. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص93؛ الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق: إبراهيم محمد طلاي، ط2، ج2، (د.ت).، ج1، ص 102-102؛ ادريس عماد الدين: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب -القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص349، 404؛ بوبة مجاني: **أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، دراسات تاريخية**، مج20، ع67، 68، ص141-142؛ سنوسي يوسف إبراهيم: **زناتة والخلافة الفاطمية**، ط1، ملتزم للطبع والنشر، القاهرة، 1986، ص244-245.

(15) نوال بلمداني: **نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (5-4هـ/10-11م)**، ص 71-75؛ سنوسي يوسف إبراهيم: المرجع السابق، ص245.

(16) المقريزي: **اتعاظُ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفَا**، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط2، ج1، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص79.

(17) ابن حماد أبي عبد الله محمد بن علي: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص56.

(18) ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار مُلوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والنشر، 1972م، ص102.

www.manaraa.com

(19) أبو عبيد البكري: المصدر السابق، ص 717-718.

(20) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

(21) بوبة مجاني: **المذهب الاسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004، ص 40.

(22) البكري: المصدر السابق، ص 677.

(23) المصدر نفسه، ص 677.

(24) المصدر نفسه، ص 677.

(25) المقدسي محمد بن أحمد: **رحلة المقدسي**، حررها: شاكر لعيبي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص 223.

(26) كان سبب الغلاء أن المعز بن باديس أمر بتبديل السكّة عن أسماء بني عُبيد، ثم بث في الناس قَطْع سكتهم، وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله، فكلف ابنه تميم بهذا الأمر أنّه من تصرف بمال عليه أسماء بني عُبيد نالته العقوبة الشديدة، فضاقت الحالُ بالفقراء والضعفاء، وغلت الأسعار بالقيروان، وكان الدينار القديم بأربعة دنانير ودرهمين، وكان صرف الدينار الجديد خمسة وثلاثين درهما. ينظر: ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، ج1، 2013م، ص304-305.

(27)-لما آل الأمر إلى التصريح بلعنة بني عُبيد على المنابر، وأمر المعز بن باديس (454-406هـ/ 1016-1062م) بقتل أشياعهم، أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل، فجاز منهم خلق عظيم، فلما وصلوا إلى القيروان نهبوها من حينها، ولما كان ثاني عيد الأضحى من هذه السنة، كانت الداهية العظمى والمصيبة الكبرى أن خرج السلطان المعز بن باديس إلى لقاء العرب فهزموه، فحاصر العرب القيروان، فأمر السلطان كافة النّاس بانتهاب الزُّروعات المحيطة بالقيروان وصبرة، وكان مصيرها ما قدر الله من فسادها وأكل البهائم لها، ... وأمر السلطان المعز أن ينتقل عامة أهل صبرة وسوقتها إلى القيروان، ويخلو الحوانيت ويُخلوا الحوانيت كلها بصبرة، وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من العسكر، أن ينتقلوا إلى صبرة، وينزلوا في حوانيتها وأسواقها، فارتج البلد لذلك، وعظُم الخطب واشتد الكرب ومدَّ العبيد ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها، واقتلعوها، وخربت العمارة في ساعة واحدة، وبات النّاس على خوف عظيم، فأحاطت بها خيول العرب ... قال ابن شرف: خرجت من القيروان، فلم أمر بقرية إلا وقد سُحقت وأكلت، أهلها عراة أمام حيطانها، من رجل وامرأة وطفل، يبكي جميعهم جوعا وبردا، وانقطع الميرُ عن القيروان وتعطلت الأسواق. ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص315-320.

(28) كان سبب هذه المجاعة تغلب الروم على مدينة المهدية، وخرج منها صاحبها الحسن بن علي (543-515هـ/1121-1148م).

(29) ابن زاوي طارق: **استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (454-406هـ/1016-1062م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2008، 2009، ص ص180-181.

(30) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 293.

(31) المصدر نفسه، ج1، ص300، 329، 331، 332.

(32) المصدر نفسه، ج1، ص 277.

(33) المصدر نفسه، ج1، ص 321.

(34) المصدر نفسه، ج1، ص 321.

(35) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 322؛ البشير بوقاعدة: **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/115م**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2013، ص191-192.

(36) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 294.

(37) المصدر نفسه، ج1، ص 336.

(38) ابن خلدون: المصدر السابق، ص302.

www.manaraa.com

(39) الادريسي أبو عبد الله محمد: **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق وترجمة: محمد حاج صادق، مطبعة O.P.U، 1983، ص117.

(40) المصدر نفسه، ص115-116.

(41) المصدر نفسه، ص116، 121.

(42) مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون للثقافة العامة، مصر، 1976، ص134.

(43) ذكر رشيد بورويبة أسعار كانت في قلعة بني حماد لكنّه لم يشر إلى المصدر الّذي استقى منه هذه المعلومات فيقول: "...**فلم نجد إلا معلومات قليلة، فتعرف مثلا أن الكسا كان يساوي ثلاثين دينار بقلعة بني حماد وأن كمية الفليون التي يحتاج إليها من أراد أن يتحصن من ضرر العقارب سنة كاملة تساوي درهمين**". فأما دراسة أمينة بوتشيش: **بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين**، فأشارت إلى فترات الغلاء إلى غاية المنتصف الثاني من القرن السادس الهجري/12م، بعدما شهدت بلاد المغرب فترة الغلاء؛ لكنّها لم تحلنا من أي مصدر استقت هاته المعلومات؟ ينظر: رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص146؛ أمينة بوتشيش: **بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين/12-13**، شهادة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، الجزائر، 2008، ص54-55.

(44) الادريسي: المصدر السابق، ص115، 121.

(45) المصدر نفسه، ص116، 121.

(46) المصدر نفسه، ص121.

(47) المصدر نفسه، ص119.

(48) يرجع ابن أبي زرع سبب غلاء الأسعار إلى الحروب التي كانت بين الفتوح بن دوناس المغراوي وأخيه عجسية، وذلك لمحاولة الفتوح ضم عدوة القرويين، حيث كثرت العدواة بينهما، فكانا لا يزالان يقتتلان ليلا ونهارا، فكثر الخوف في أيامهما بالمغرب وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وعظم الهرج وقويت الفتن في جميع نواحي المغرب، دامت الحرب بينهما ثلاث سنين متوالية، فكانت أيام الفتوح كلها شدة وخوفا ومجاعة وحربا وغلاء مفرطا. ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص111-112.

(49) رغم أنّه تخللت هذه السنوات أحداث كزلزال (472هـ/1079م) بالمغرب هدم البينان ومات فيها خلق كثير. وكان سنة (498هـ/1104م) القحط بالعدوة كاد النّاس أن يهلكوا. ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص37؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص168.

(50) كان هذا الغلاء بسبب الحروب بين الموحدين والمرابطين خاصة أثناء الحصار الأول لمراكش، حيث اتصلت الحروب وغلت الأسعار وتوالت الفتن وعم الجدب وقلت المجابي وكثرت على أهل الإسلام المحن. ينظر: ابن الخطيب: **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تصح: البشير الفورتي، مطبعة التقدم، تونس، 1329هـ، ص89.

(51) المصدر نفسه، ص103-104.

(52) ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص105-106.

(53) غير أنّه في هذه الفترة تشهد كلّ بلاد المغرب فترات الرخاء، بل شهدت فترات غلاء؛ سنعالجها لاحقا.

(54) لكن ابن أبي زرع يجعل هذه السنة سنة غلاء شديد ووباء مفرط هرب فيها أكثر أهل البلاد ووصل **قفيز القمح** فيها إلى **ثلاثين دينارا**. غير أن ابن عذاري ذكر في حولياته أن سنة (635هـ/1238م) سنة رخاء، مما سمح لي بإدراجها في جدول فترات الرخاء التي عرفتها الدولة الموحدية. خاصة بعد القضاء على فتنة عرب الخلط. كما صنف محمد رابطة الدين سنة (635هـ/1238م) في لوحة فترات الرخاء بمراكش زمن الموحدين، وفترات الغلاء التي عرفتها مراكش زمن الموحدين. ولا ندري أيهما أصح. ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص254؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص478؛ محمد رابطة الدين: **مراكش زمن حكم الموحدين**، ط2، ج1، مؤسسة الآفاق للنشر والتوزيع-مراكش، 2016. ص260.

www.manaraa.com

(55) تمثل هذه السنة دخول بنو غانية إلى بجاية وما انجر عنه من أحداث.

(56) لكن الغريب أن ابن عذاري لم يعد غلاء الأسعار من بداية سنة (614هـ/1217م) إلى غاية سنة (617هـ/1220م) لكنّه أفرد هذه الأخيرة وحدها؛ رغم ذكره أنّ ليس لديه معلومات حول حولية (614هـ/1217م)، و(615هـ/1218م).

(57) توافق هذا الغلاء مع بداية فتنة عرب الخلط زمن حكم الرشيد (630-640هـ/1232-1242م)، بدأت الفتنة سنة (633هـ/1235م) وانتهت سنة (634هـ/1236م). حسب ابن عذاري. هذا عكس ما أورده ابن أبي زرع وذلك أن مدة طول حكم الرشيد عرفت الغلاء والوباء. وربما كان الرجل متحاملا على الموحدين حسبما يرجع إليه الكثير من الباحثين. ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 443 وما بعدها؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص255؛ الحسين بولقطيب: **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص48.

(58) وارتفعت الأسعار وعُدمت الأقوات، وقل كلّ مرفق وأعوز وُجدان ما ينتفع به النّاس من الحطب والتبن والفواكه والخُضر وما يجلب من البوادي، واقشعرت الجلود من هول المكابدة في طلب شيء من أنواع الحنطة، وبلغت مبلغا لا عهد بمثله حتّى انتهى الربّع الواحد من الدقيق اللطيف الفاسد إلى ثلاثة دنانير، والناس في ازدحام على من يشعرون عنده زنةُ الخردلة منه أو من سواه، وما أهمهم إلا اقامة الأود بما ينطلق عليه اسم الحنطة...تحير النّاس وكثر فيهم الرهج، وعظمت عليهم المصيبة بإسلامهم وعدم الأقوات والمرافق، ولم يبق لأحد سبد ولا لبد ولا طارف ولا تالد ولا ذخيرة ولا مال ولا عقار، واستولت المجاعة على جمهور الناس، وانتهى المدُّ الواحد من القمح الفَحْصي إلى سبعة دراهم كبارا، وأما دّرهم الفضّةُ فكان يُصرف في نصف درهم، وكان هذا عرفا بين السُّوقة بالسّبعة الدّراهم السكة، إنّما تخرج من مثلي عددها، وأما أسواق المدينة في هذه المجاعة فلم يكن بها ما يطلق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه، والحوانيت مغلقة وما بقي بها من يلبس ثوبا يُساوي عشرة دراهم إلا الأطمار المتغيرة الخَلقة، وتغيرت الصور الجميلة، وتنكرت الدنيا باستيلاء المجاعة، وإذا ظهر في السوق بعد أيام كثيرة شيء من خُبز الشعير يحشر النّاس عليه وإنّهم لقيام ينظرون، وكذلك النارنجُ كان موجودا كثيرا، فصار النّاس يميلون إلى شرائه وما يدرون حامضا هو أم حلو من سوء ما حل بهم. ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص444-452.

(59) وفي سنة (637هـ/1239م) كان الغلاء المفرط والمجاعة العظيمة بمدينة سبتة حتى عدم فيها الطعام بالكلية ...وكانت بلاد الغرب غالية الأسعار بسبب كثرة الفتن وقلة الأمطار في تلك الأقطار وبسبب عدم الحماة والأنصار لتلك الجهات والأمصار فقد كان أهل تلك البلاد اشتعلت بالفتن نارهم وقلت حماتهم وأنصارهم حتى اشتدت حالهم وتكاثرت أوجالهم بسبب ما كان بين أمراء الموحدين من الحروب والوقائع والفتن والزعازع، واشتغالهم عنهم بأمورهم وأحوالهم في حضرتهم المراكشية في الدولة المأمونية وفي أوائل الدولة الرشيدية فكثر الغلاء والجلاء في البلاد الغربية من أجل النفاق واختلاف الكلمة في السنين الماضية حتى انقطع السبيل وعدم فيه الدليل. ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص483.

www.manaraa.com